منجوانا

ولاء خليل

للنشر الإلكتروني

منجوانا

نوفيلا

ولاء خليل

إبداع

للنشر الإلكتروني

تصميم

الغلاف: Delicate Butterfly

الداخلي : Dina Y Elshaarawi

تعبئة ورابط إليكتروني : Dina Y Elshaarawi

فريق عمل

إبداع

للنشر الإلكتروني

حالة

هل جربت الهرب يوما ؟

الفرار من مُحيطك الضيق .. عالمك المتعثر ..

الخروج من صدرك المفعم بالأحزان والضغوط

ربما تفعل ذلك كل يوم بين طيات رواية تُبحِر عبر صفحاتها

أو بمشاهدة عرضك المفضل وتقمص شخصياته

ولكن احذر ..

فقد تسقط بفوهة حلم لا نهائي في إحدى

محاولات هروبك وتصبح العودة لواقعك حينها

ضرب من الخيال !

مقدمة

ظلت تتلمسه بيدها وبداخلها صوت أنين يصرخ ..ينتفض.. ويرفض كل اتهام وُجِه لها بالهذيان

ودون أن تدري خرجت تلك الصرخات إلى النور وقد أخذت تضرب فوق الغطاء الحديدي بقوة

لماذا لا تظهر لهم؟؟

أجبني أيها الغبي ؟ ليقولون عني كاذبة .. مريضة ؟ لا أحد يصدقني!

لِم تختفي عندما يحضرون ..لِم ؟

وبينما هي على هذا إذا به ينفرج قليلا وقد انبعث منه ضوء كلون السماء وقت الشروق ، شهقت بفزع بالغ وكادت تصرخ لتخبر الجميع بالحضور علهم يتيقنون صدقها ولكنها لم تفعل ، فقط ظلت على حالها من الذهول لبضع دقائق قبل أن ينفتح الغطاء كاملا لتزداد ضربات قلبها النافرة وهي تردد بارتعاد يا إلهي ما هذا !!

بيت طيني كبير، يقع على أطراف قرية صغيرة للغاية لا تعلم شيء عن الخدمات سوى المسميات فقط.. فالماء بالنسبة لهم يعني مضخة يدوية

مثبتة بالأرض داخل بيت أحدهم أو ربما موضوعة بمنتصف الطريق كسبيل للمارة ، بينما الكهرباء فما هي إلا مصباح زيتي بدائي وهذا كل شيء ، أما غير ذلك فهي مجرد أحلام عابثة لمكان كهذا غفلت عنه موجة التحضر وتاه جميع المسؤولين في رحلة الوصول إليه..

وهناك ثلاثة قلوب مشتتة مبعثرة داخل البيت الكبير بعشوائية مفرطة حد الغربة !، رجل في أواخر الثلاثينيات أغلق باب الحياة واكتفى بالاعتكاف بغرفته تارة وأمام مدفن شِق قلبه التي رحلت تارة أخرى وقد أصبحت الحياة لديه عبء كبير حتى صغيرته لا يبالي بها ..

وهناك عمة مرت عليها جميع قطارات الحياة
وأهمها حلم كل فتاة بالزواج متجاهلة شبابها
وجمالها حتى وصلت لعقدها الثالث والحجة
"قسمة ونصيب" ومع كلٍ لم تَسْلم يوما من غمزة
هذه وعُتبة تلك ووابل من الكلمات الجارحة
وإن كانت في صيغة دعاء !

قيل أن أشد سجون الحياة هي قسوة يسجن المرء
نفسه فيها وبها ظنا منه بأنها المُنجية ، تلك
القسوة وحدها من ستجعله أقوى وأشد بئسا
وأكثر خِشْية فيغلف قلبه وعقله بإحدى الأفكار
البائسة وحينها لا يرى ولا يسمع !

أصبحت جامدة بلا مشاعر تصب سخط قلبها على جميع من حولها أخيها وابنته في المقدمة ـ بالطبع- هم أول من حملتهم ذنب سنواتها العجاف ويأتي من بعدهم من تسببوا بجرح قلبها ممن حولها من أهل القرية رافعة شعار

(السادية هي الحل!)

وبعيدا في ركن منزوٍ طفلة لم تتعد الحادية عشرة من عمرها لم ترَ والدتها التي توفيت بعد ولادتها مباشرة ،باتت وحيدة منذ أول لحظات حياتها ، محاطة بضغوط لا قِبَل لها بها ولا حيلة ولا سند، فسندها جرف هارٍ حبيس غرفته وأحزانه ، لا يعلم عنها شيء كيف أصبحت ، تناولت طعامها أم

نامت لا يهتم وهي بالنسبة له عبء ثقيل ألقاه على عاتق العمة ، والعمة تشعر بذلك كل ثانية تنظر فيها لوجه ابنة أخيها المميز ولسان حالها "ليست تشبهنا .. تشبه والدتها حمقاء ..معتوهة .. بلوتي الكبرى .. ما كنت ناقصة عبئها أيضا .. يكفيني ما أنا فيه"

وقد تكون محقة بعض الشيء فهي حقا لا تشبههم على الإطلاق بيضاء كالثلج ذات أنف صغير أفطس وفم كحبة البندق بلون الجوري وعينان انشقتا بوجهها كخط مستقيم بالكاد يظهر بؤبؤه الأسود منهما والذي يختفى تماما عندما تضحك ، وشعر معتم كليل بهيم.. كثيف.. فائق النعومة..

ينساب بمرح حتى كتفيها ، بالطبع وجه كهذا غير مألوف لجميع من بالقرية من ذوي البشرة القمحية وأخرى سوداء والشعر المجعد الأسود وآخر بني مموج وأيضا العيون الواسعة على اختلافها ،أما هي فتشبه والدتها "الخوجاية" كما كانوا يطلقون عليها قبل وفاتها ، ولكن بدلا من إعطاء ابنتها صفة أمها اختاروا الحل الأسهل الأقبح الأشد قسوة

"مختلة عقليا "

لتعلنها إحدى سيدات القرية الثريات المتنمرات "نعم لقد شاهدت أمثالها في التلفاز خاصتي جميع المختلين يشبهونها"

وبالطبع أمّن أهل القرية كلماتها المقدسة لديهم فسيدة ثرية مثلها تمتلك ما يسمى بالتلفاز يجب أن تكون صادقه

بالطبع!

لم يقتصر الأمر على ذلك وكنهاية منطقيه لما يتلفظ به الآباء يتنفسه الأبناء ، وأصبحت منبوذة بعشية وضحاها لا أحد يقترب منها أو يريد اللعب معها كباقي الأطفال خشية العدوى بم أنها مريضة بعقلها فربما يصيبهم المرض هكذا يعتقدون هي بالنسبة لهم مختلفة ليس فقط مظهرها وأيضا اسمها الثقيل فوق ألسنتهم الغير معلوم معناه لديهم ، اسم اختارته والدتها وكأنه جُرم " يونا "

اسم جديد على مسامعهم والجديد غريب والاختلاف بشرعهم نوع من التخلف هي مختلفة إذا هي مختلة صدر الحكم وقضي الأمر..

تنظر للفراغ بغرفتها لقد سأمت وحدتها حتى أن " سيدة " من تحضر لها الطعام وتهتم بها لم تأتِ اليوم ، ومازالت تشعر بالجوع يعتصر معدتها الصغيرة ولا خيار لها سوى عمتها "سعاد" خرجت من غرفتها على مضض متوجسة مما قد تفعله بها تلك العمة المتحولة ، وجدتها تجلس أمام باب المنزل على بساطها المفضل تترقب المارة لتبخ بوجوههم البغيضة بالنسبة لها بعضا

من السم الذي طالما أذاقوها إياه فتتنمر على قِصَر هذه وطول الأخرى وتلك التي لم تنجب بعد وهذا الذي ترك زوجته وأولاده

نظراتها تصرخ بوجوههم "إن كان بي عيب فقد فاقت عيوبكم المدى" ، اقتربت منها "يونا " على استحياء وهي تحاول إخراج حروفها بتلعثم:

ـ أاااناا أشعرر بالـ جووع عمتي .. أاريد بعض الطـ عالم .. رجاء.

وهنا نظرت لها سعاد بحدة وشرارات الغضب تنطلق من عينيها المتقدة :

وهل تعتقدين أنني خادمتك ، أنا من أحضرها والديك هنا لتلبية رغباتك سمو الأميرة!

ألا يكفيني أن أفيق على وجهك المريب هذا كل يوم ! اغربي عن وجهي وابحثي عن أي كسرة خبز تناوليها بعيدا عني وإلا تعلمين جيدا ما سأفعله بكِ!

اختفت "يونا" من أمامها بلحظة وشعرت سعاد بلذة الهيمنة حين رأت الهلع في عيني الطفلة الصغيرة ، وفرت الأخيرة مسرعة إلى غرفتها فهي تعلم جيدا ما تقصده عمتها فقد اختبرت على

يدها مسبقا الكثير من أنواع العذاب التي تركت بصمتها بوضوح على جسدها النحيل البض.

جلست تبكي بصمت فشعور الخوف لديها فاق شعورها بالجوع وبينما هي على هذه الحال تسلل إلى مسامعها نفس الصوت الذي سمعته مسبقا ولكنه أعلى بعض الشيء ، ساقها الفضول إلى تتبع الصوت الخارج أسفل فراشها وكعهدها به في المرة الأولى حين اكتشفته منذ يومين غطاء حديدي أسود كبير تدثره أرضية الغرفة الطينية من حوله يعلوه مقبض باللون الأسود تصدر منه همهمات لا تفقه منها شيء ولكنها اليوم أكثر حده!

أرادت إزاحة الغطاء رغم ما تشعر،به من خوف تجاه ذلك الشيء الغريب ولكن صوت ما يتردد بداخلها بل ويهمس بأذنيها ورغما عنها يحثها على الاقتراب..

حاولت تحريكه ولكن ثقله أبى أنا يتحرك جزءا عن مكانه ، أخذت تحاول كثيرا دون جدوى ، حتى أيقنت أنها لن تستطيع بمفردها ، قررت الخروج واستدعاء رفاقها بالقرية علهم يساعدونها في تحريك ذلك الشيء بعدما هداها عقلها الطفولي للعديد من المفاجآت التي قد تنتظرها أسفل ذلك الغطاء ..

خرجت مسرعة من البيت وحواسها تشتعل حماسة حتى كادت تلك الحماسة تنطفئ حينما وجدت الجميع يبتعد عنها وكأنها وحش هجم لتوه عليهم ، نظرة مستنكرة كانت ردت فعلها صاحبها جملة عتب طفوليه:

لماذا ابتعدتم فجأة حين أتيت ، ألا تريدون اللعب معي ؟!

بالرغم من صلابته وقوة شخصيته إلا أنه وبتلك اللحظة يتملكه ضعف العالم بأسره ، إحساس بشع

بالعجز وقلة الحيلة ووالده ممدد أمامه على فراش المرض يختبر لحظاته الأخيرة

شاب في أوائل عقده الثالث طويل البنية قوي الهيئة، بشرته البيضاء زادت ملامحه الرجولية وسامة لتشكل تلك الملامح صورة مهلكة!

انسابت للمرة الأولى دمعة هاربة من طرف عينيه وهو يحتضن يد والده الملك "يونج" الذي بلغ عقده الثامن ، أخذ يتأمل ملامحه وقد غاب في تجاعيد وجهه ، ملك جزر "دياو".. وبؤرة عزتهم الذي هُزت لأجله أعتى العروش وخضعت له أعظم الممالك، الآن سينطفئ نوره بلا رجعة..

حاول الملك أن يتحدث وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة ، فشدد "يانج" على يده وقلبه ينفطر حزنا:

- أرجوك أبي فقط استرح لا داعي للحديث هناك خطورة على حياتك.

أشار الملك بيده لينصرف جميع من بالغرفة ومن بينهم الساحر الأعظم

مبارانغ" "

مما أثار دهشة " يانج " فهو وزيرهم المقرب والرجل الثاني بعد

الملك والأمين على عين ماء

"إيتركس" المقدسة الخاصة بالعائلة الملكية ومصدر قوتها

رغم صغر سنه لكن قوته في السحر وأمانته كانت سببا في ثقة العائلة المالكة به ..

بعد أن انصرف الجمع همس الملك بوهن ومازال كفه ينعم بالراحة بين كفي ولده "عمتك بني ، لقد اشتقت إليها كثيرا"

وهنا انقطعت أنفاسه لثانية أخذ يسعل بعدها بشدة حتى شعر "يانج" بالهلع وهو يناوله بعض الماء المقدس من "عين إيتركس " ولا زال يحثه على الراحة:

- أرجوك أبي يجب عليك الراحة الآن، وسنتحدث لاحقا في كل ما تريد.

لكن والده لم يفعل أصر على إكمال حديثه وهو يزيح عنه الماء:

ـ لا فائدة اليوم من هذا الماء بُني فقد حان موعدي ، استمع إليَّ رجاء فلا وقت لديَّ ،عليك أن تبحث عن عمتك ، قلبي يخبرني بأنك ستجدها أعلم بأنها رحلت برغبتها الكاملة ولكن بالنهاية هذه مملكتها ولابد أن تعود ، هي من ستعاونك على مواجهة الكاريب ، فلديها قوتها الخاصة التي لا يملكها أحد سواها تلك القوة قد امتلكتها حين سقطت" بعين إيتركس" حين بلغت الثانية عشر من عمرها وقد اكتشفت تلك القوة مصادفة ودفنت ذاك السر بقلبها وقلبي للأبد ، لا أحد يعلم

عما تستطيع عمتك فعله شيء حتى " مبارانغ " نفسه ..

هذه وصيتي لك يانج فلا تخذلني ولدي الحبيب ...!

ألقى كلمته الأخيرة لتخرج روحه مع آخر حروفه في مشهد قاسٍ جعل قلب ولده يعتصره الألم وهو يردد:

" أعدك أبي سأجدها يوما ما مهما كلف الأمر.."

انتهت مراسم العزاء وانصرف الجميع بعد توديع ملكهم أما "يانج" فقد شعر باختناق العالم من حوله وضاقت عليه أنفاسه بعد توديع والده وقد

بدأت الشمس تسبح نحو الغروب ، أخذ يركض بسرعة خيالية بين الأشجار الكثيفة حتى اشتدت الحرارة بجسده الممشوق ودمائه الحارة بدأت تتدفق بين أوردته بسرعة يشعر بجنونها ، ليثني بعدها ساقية ويقوم بضم ذراعيه المفتولتين إلى جانبه وبلحظه يصعد عاليا إلى السماء متحولا إلى طائر عملاق ذات لون بني فريد ومخالب قوية يفرد أجنحته الضخمة في الفضاء عل الهواء يثلج نار صدره المتقد بالأحزان أخذ

ظل يرتفع ويحلق هنا وهناك، وهو يصدر صوتا قويا مرعبا جعل الكائنات تفر هاربة من حوله ليهبط بعدها فوق قمة أعلى جبل بالجزيرة ويعود

بعدها لهيئته البشرية ولازال صدره يعلو ويهبط وقطرات العرق تتصبب بغزارة فوق جسده ، وبينما هو كذلك وجد طائرا ضخما أزرق اللون رائع الجمال يقترب نحوه فعلم على الفور بأنها هي، أيقونة راحته جاءت لتدعمه هي نصفه الثاني ابنة خاله وعشقه الأبدي "أتان"

اقتربت نحوه تهبط لتستقر بجانبه متحولة إلى فتاة بيضاء رائعة الجمال ممشوقة القد ذات شعر مرسل طويل باللون الأسود وعينان بنفس اللون الداكن ..

أخذت برأسه لتدفنها بين أحضانها وهي تربت علي كتفه

محاولة تخفيف وهج قلبه الملتاع : كنت أعلم أنني سأجدك هنا "يانج" ،

هون الله عليك حبيبي

احتضن جسدها بذراعيه ومازال مستقرا فوق صدرها الحاني وهو يهمس بألم

لم يعد لي أحد سواكِ الآن "أتان" ، عديني ألا تذهبي كما ذهب الجميع ، أقسم بأنني سأموت حينها!

: شددت من احتضانها له وأخذت دمعاتها تنساب برقة

وهي تقبل رأسه.

.. لن أتركك أبدا حبيبي حتى وإن مت ستكون روحي معك وللأبد أعدك بهذا

هرولت "يونا " إلى غرفتها ملاذها الوحيد ، ودمعاتها تتساقط دون إرادة تشعر بنار متقده لا تقوى أحشائِها الصغيرة على تحملها قسوة

كقسوة ثلج بشتاء بارد لا يقوى عليها أحد و هي التي لم تكمل عامها الحادي عشر بعد ،،،،

دخلت إلى الغرفة وكأن شيئا يجذبها نحوه بقوة وإن لم يصدقها أحد لا فرق ، هي رأته رأي العين يتوسط الأرضية الطينية تحت فراشها ، اختبرت خشونة ملمسه بل والاكثر لا زالت أذنيها تحتفظ بالهمهمات الصادرة عنه والتي ظلت تستمع لها ليلة كامله...

قامت بثني ركبتيها الصغيرتين استعدادا للدخول تحت الفراش وهي تخشى خيبة الأمل ، لا تدري لم تشعر بأنها لن تجده تلك المرة ربما هم على حق ولم يكن كل هذا سوى خيالات طفلة!

نظرت بتردد أسفل الفراش قبل أن تستجمع شجاعتها وتزحف إلى الداخل وبفضول طفولي أخذت تبعد قطع الطين المختلطة بالثرى المبعثر بعيدا عن المكان لينكشف أمامها الغطاء الحديدي مستقرا مكانه كآخر مرة رأته

إذن هي ليست كاذبة أو مجنونه كما يدعي من حولها

ظلت تتلمسه بيدها وبداخلها صوت أنين يصرخ ينتفض.. ويرفض كل اتهام وجه لها بالهذيان..

ودون أن تدري خرجت تلك الصرخات إلى النور وقد أخذت تضرب فوق الغطاء الحديدي بقوة

لماذا لا تظهر لهم؟؟

أجبني أيها الغبي ؟ ليقولون عني كاذبة .. مريضة ؟ لا أحد يصدقني! لم تختفي عندما يحضرون ..لم ؟

وبينما هي على هذا إذا به ينفرج قليلا وقد انبعث منه ضوء كضوء الشمس وقت الشروق ، شهقت بفزع بالغ وكادت تصرخ لتخبر الجميع بالحضور علهم يتيقنون صدقها ولكنها لم تفعل ، فقط ظلت على حالها من الذهول لبضع دقائق قبل أن ينفتح الغطاء كاملا لتزداد ضربات قلبها النافرة

وهي تردد بارتعاد يا إلهي ما هذا !!

لن أنسى ذلك اليوم أبدا ، حين كنت على مشارف الموت ، أراه أمامي الآن وكأنه حدث لتوه !

قالها مبارانغ وهو يوالي ظهره لشيوان وقد عقد ذراعيه إلى الخلف ينظر إلى الفراغ بغضب عارم يعتليه ..

وقبل قليل ،،،

كان يحلق بأجنحته الفريدة هنا وهناك وكأن السماء ملكا له يجوبها بانتشاء وريشه الذهبي

الفريد ينشر بريقه بمرح يعزف سيمفونية خالدة بصحبة خيوط الشمس لحنها ومضات تخطف الأبصار ، ظل على حاله لبعض الوقت قبل أن يرى فريسته وقد سلط عليها بصره الحاد سكن للحظة قبل أن ينتقل لوضع الهبوط فيخرج ثعبانا عظيما من تحت جناحه الأيمن يلتف بسرعة خاطفة حول عنق الثعلب وجسده فيعتصره ويسقط فريسة سهلة !

تحول شيوان لهيئته البشرية ومن ثم جلس يرتاح قليلا بجوار فريسته وابتسامة تلتمع فوق شفتيه تحمل كثيرا من الفخر بنفسه وقوته التي لا يمتلكها أحد سواه على وجه الجزيرة ، وبينما هو

كذلك كانت هناك عين ثاقبة مسلطة عليه ترقب كل حركة منه دون أن يشعر بها !

أما الآن فيقف خلف "مبارانغ" على استحياء لا يجرؤ على النظر إليه ولم يتفوه بكلمة واحده و رغم عدم شعوره بالراحة منذ أن استدعاه كبير الكهنة إلا أنه لم يتخل عن كبريائه وفخره بم وصل إليه حاله !

استدار الكاهن "مبارانغ" وعيناه تشتغل نار ليكمل في نبرة ساكنه ربما تسبق العاصفة:

" أنا من أنقذ حياتك ذلك اليوم شيوان ، لم يعرف أحد سبب مرضك حتى كبيري الأطباء بجزرنا أنا

فقط بمجرد النظر إلى عينيك أدركت فعلتك الكارثية لكنني لم أخبر أحد ... "

تحول وجه شيوان بلحظة فقد كان يعتقد أنه لا أحد يعلم فعلته التي تسببت في مرضه وهو صغير وكادت تودي بحياته

فكل من حوله لا يعلم سوى بأنه أصابته حمى مفاجئة في سن السادسة ليسقط بعدها مغشيا عليه دون سبب واضح وأن الكاهن مبارانغ هو من أنقذ حياته

وانتهى ! .

صمت مطبق غشي كلاهما حاول شيوان كسره لكن مبارانغ لم يسمح له ،

رفع يده أمامه بغضب وغشيت عيناه عبرات عنيدة أبت
أن تسقط رغم قوتها ليكمل :
" أتعلم لم أنقذت حياتك حينها ، أتعرف لماذا لم أخبر الجميع سبب مرضك ؟! فقط من أجلـ..... "
ليقطع حديثه فجأة ويستعيد غضبه " أعلم ما تمتلك من قوة شيوان ولكنني لن أسمح لك باستخدامها ما دمت حيا"

مختال بنفسه ، واثق أو ربما ذكائه الحاد أو جميعهم شكلوا ملامحه القوية ، يؤمن جيدا بأن العقل هو أساس القوة وهو قوي بما يكفي ليرفض

لهجته الآمرة المصحوبة بتهديد مبطن بل ويقف بعزة حتى أمام أعظم كاهن بالجزر عقد ساعديه بتحدي يغشى عينيه نظرة مبهمة :

ـ هل تعتقد أنني غبي أيها الكاهن الأعظم ؟!

إن كنت تعلم فعلتي فأنا أيضا أعلم الكثير وليس صمتي لخوف بل لعدم اكتراثي بأموركم السخيفة تلك..

استدار مبارانغ لمواجهته وقد اهتزت ثقته قليلا رغم محاولاته الاحتفاظ بثباته الانفعالي أمام شيوان وبنبرة هادئة ظاهريا :

ـ ماذا تقصد من حديثك هذا ، الجميع يعرف من هو مبارانغ كبير كهنة المعبد ، أنا أعمل مخلصا للعائلة المالكة قبل أن تصبح نطفة في بطن أمك .

اتسعت ابتسامة شيوان وهو يقترب منه وبنبرة ماكرة :

نعم ! إذن لم تركتها ترحل ، لماذا لم تمنعها من ذلك ؟ تسيطر على يانج بسهولة بعد وفاة الملك أليس كذلك ؟؟

هربت الدماء للحظات من جسد مبارانغ ولكنه حاول أن يتماسك :

ـ من تقصد شيوان ؟

شعر شيوان باضطرابه فقرر أن يضغط على جرحه آخذا بمبدأ وفي إيلام بعضهم نجاه :

ـ من أنقذت حياتي لأجلها مبارانغ ، هل تعتقد أنني لا أعلم عنكما ، لم تكن فقط عمتي وعمة يانج بل كانت أمي الثانية ، كما كانت لك أـــــ.....

"شيوان ! "

قالها مبارانغ مقاطعا محذرا رافعا سبابته بوجه شيوان :

لقد تجاوزت حدودك معي ولن أسمح لك بالمزيد ، قوتك ستدمر جزرنا وأنا لن أصمت كثيرا سأفعل ما يجب عليَّ فعله ..

قال جملته الأخيرة وهو يأخذ بضع قطرات دماء من جرح يد شيوان الذي تعرض له أثناء قيامه بالصيد ، معتزما أمرا في نفسه ..

بينما كانت جالسة أمام البيت كعادتها لتبعثر لاذعات حديثها الحار على المارة من أهل القرية كعادتها ، اذ بسحابة سوداء مرت أمام عينيها الجميلتين موت ابيها وأمها ، تعثرها بالحياة ،فشلها بكل شكل عدم زواجها إلى الان أحاديث الجيران حولها ، تذكرت آخر مرة تقدم لها شخص

للزواج كان مطلق ولديه طفلين ومع هذا لم تعترض لكن أخيها فعل ! لا يهم السبب أو ما هي وجهة نظره في ذلك مادام عقلها المريض لن يحتمل سوى تفسير واحد جعلها تتقد نارا " "حتى أظل خادمة له و لابنته البغيضة

وحيث أنها لا تستطيع مجابهة أخيها الأكبر فهناك بديل هش كقطعة قطن ليس لها حيلة ، بديل تنفث فيه كامل ساديتها وكرهها لنفسها وللحياة ، بديل لا حول له ولا قوة نعم بالطبع "يونا"

"يونااا .. أيتها البلهاء احضري إلى هنا حالا"

قالتها سعاد وهي تستشيط غلا وغضبا

جاءتها يونا وهي ترتعد يبدو أن موعد وجبة

اليوم قد حان ولكنها ليست كوجبة طعام عادية، بل

فاخرة بها أشهى الأصناف من ضرب وتعذيب

وإهانة ولا مانع من وجود بعض المقبلات من

تقبيح لخلقتها المختلفة واسمها أيضا لينتهي

الأمر بسعاد منتشيه بشعور انتصارها على جسد

طفلة واهن ، وينتهي الأمر بيونا حبيسة بغرفتها

يتناوب ألمها النفسي والجسدي عليها ليخبرها

عقلها الصغير بأحد الحلين إما الموت أو الهرب!!

شاب هادئ .. طبيب نفسي ماهر.. وأيضا فنان ذو طابع خاص من الإبداع ، يقف بإحدى الغرف ببيته و التي خصصها لتكون ورشة نحت يُحيل فيها حالات مرضاه إلى واقع ملموس بل منحوت ، فهذا يقف بملامح يملأها الذعر ، وذاك يبدو على وجهه الجمود ، وتلك خائنة متمردة بينما يقابلها نسخة منها هادئة خائفة ..

كان منهمك بآخر أعماله يتحسسه برفق وكأنه طفله الصغير حديث الولادة ، يداعبه بأدواته المختلفة بحذر وحكمة ، يستمتع بنحت ملامحه

وكأنه يعيش بعالم منفصل عن كل ما حوله وفجأة دون أن يشعر وجدها أمامه ..

نظرة عابثة مع قلب مضطرب وأنفاس لاهثة غشيته دون إرادة وكأن جسدها ينسج خيطا غليظا ماكرا يقيد حركته ، وكأن فتنتها مؤامرة تتحدى كبرياء رجولته ، هي حرب تجتاحه كلما كان بقربها .. حربا توجب عليه خوضها والهرب محال !

وبداية الحروب قُبله ونهايتها فوضى لذيذة ونشوة تختص بها هي حبيبته الشقراء ذات القوام المهلك وشفتان قرمزيتان تجعلانه يسلم جميع أسلحته طواعية

إناء عسل شهي هو من يصنعه لنفسه في كل مرة ولا يكفيه تذوقه بل ينهال منه لينتهي وتختفى هي دون سابق إنذار كما حضرت ، لتبدأ القصة في اليوم التالي وتتكرر الأحداث التي لا يملها .. هي مرضه الذي يعلمه جيدا ولا يُريد الشفاء منه والنجاة هلاك !

أجفلته دقات على الباب .. فأذن لها بالدخول إنها شقيقته "مها" ، أخته الوحيدة و ونيسته في هذا البيت الكبير ، بيت العائلة الذي غيب الموت وجود أحبابهم به فلم يتبق لهما سوى بعضهم البعض .

نظرت إليه نظرة تحمل بعض اللوم والكثير من الحزن :

مع من كنت تتحدث يوسف ؟

تجاهل سؤالها واستدار يكمل ما كان يفعله ،

وضعت يدها فوق كتفه فأحست برعشة تنتابه

وكأنها طعنت بقلبها في تلك اللحظة ، استدارت

تواجهه وهي تنظر في عينيه مباشرة :

إلى متى يوسف ؟

ترك ما بيده وهو يزفر بضيق ، تناول أحد

المناشف الموضوعة بجانبه وأخذ يمسح يده فيها

و بتنهيدة حارة ونبرة استسلام لإلحاح شقيقته :

ـ ماذا تريدين مها ؟

أجابته وهي تنفض يديها بقلة حيلة:

ـ أريدك بخير أخي .. فقط بخير، هذا كل ما أريد

جذبها إليه ممسكا بكلتا ذراعيها في رفق وهو ينظر لعينيها

بثقة وابتسامة رقيقة :

أنا بخير مها .. صدقيني بخير .. لا داع للقلق فأنا لم أصل لمرحلة الجنون بعد ،

لا تنسِ بأنني طبيب نفسي أعلم جيدا ما أنا فيه ولكنني مازلت بشر ، قلبي لا يستطيع نسيانها حتى ولو فرقنا الموت لن أسمح لعقلي بأن يخرجها من حياتي هكذا ببساطة ..

دمعة هاربة فرت من عينيها وهي تحتضن أخيها الذي لم يستطع إلى الآن تجاوز محنته بفقدان

زوجة أحبها سبع سنوات لينعم معها بشهر واحد فقط كزوجته ثم يباغتها الموت فجأة بحادث أليم !

خرجت من محبسها الذي لا يزيدها إلا كآبة ، تحمل دميتها الوحيدة المهترئة بعدما قررت الخروج عبر النافذة فلا داع للاصطدام بعمتها يكفيها ما ذاقته من ألم على يديها..

سارت منكسة الرأس تتلافي نظرات التنمر من حولها حتى كادت تصطدم بجدار منزل السيدة وهيبة إحدى ثريات القرية إلا أن صوتا ما أجفلها ، اقتربت من نافذة البيت المنفرجة قليلا تسترق السمع والنظر ، ليغشاها حالة من الانبهار بهذا الصندوق الأسود القابع فوق طاولة قصيرة ، العديد من الصور تتحرك بداخله لأشخاص وأماكن وحيوانات لم تر لها مثيل متزامنة مع صوت رجولي قوي يخرج من الصندوق

: كان صوته صادعا بكلمات يصعب عليها فهمها

"وقد أشار الرحالة الإيطالي، إلى أن غزاة «كاريب» الذين يروجون للحرب مارسوا اختطاف

النساء وأكل لحوم البشر من الرجال" على المسالمين، الذين عاشوا هناك أيضًا ، و على سكان الجزر الأصليين، حيث كانوا يأخذون النساء للعبودية، ويقومون بقتل الرجال وتمزيق أجسادهم ومن ثم أكلها ليثيروا الرعب في نفوس الشعوب ، ثم الاحتفاظ بجماجم ورؤوس ضحاياهم كنوع من الفخر بانتصارهم"

وقفت تشاهد جاحظة العينين فارغة فاها في ذهول ، أناس يرتدون ملابس عجيبة من الريش والجلود ويضعون فوق رؤوسهم قبعات معدنيه ينبثق منها قرنين كقرون الحيوانات ، ظلت على حالتها إلى أن انتبهت لصوت السيدة وهيبة

توبخها وتأمرها بالابتعاد عن بيتها لتصطدم بمن تقف خلفها

تنذرها بعقاب لم تره من قبل!

وقف مبارانغ فوق قمة جبل "كونكا" أعلى جبال الجزر وفي يده قنينة تحوي سائل أحمر لزج وضعها أمامه ومن فوقها ريشة بلون الزمرد ،

ومن ثم أغمض عينيه وأخذ يتلو بعض التعاويذ أمامها في قدسية ، لم تمر دقائق بعدها حتى شعر باهتزاز الأرض من تحت قدميه بطريقة أجفلته ، حاول الركض إلى الأسفل بأقصى سرعة له حتى تحول إلى طائر أسود عملاق حلق عاليا قدر استطاعته ليرى الجبل ينهار كليا والأرض تهتز من جميع الجهات حوله بشكل مفزع!

عاد إلى طبيعته البشرية ومن ثم أسرع إلى قصر الملك يانج ليخبره بما حدث وقلبه يرتجف خوفا ، ولكنه حين وصل وجد الملك وحاشيته خارج القصر وعلى وجوههم الهلع

"أريدك في أمر هام للغاية سيدي .. لقد إنهار جبل كونكا ولا بد من حل صارم قبل أن تغزونا الخسائر تباعا ويفوت الأوان.."

قالها مبارانغ في إقرار ، بعدها أمر الملك يانج حاشيته بالانصراف بإشارة من يده ليقف أمامه مبارانغ يخبره بأمر شيوان وقوته التي لا يمكن الوقوف أمامها ، وبأنه حاول إبطال تلك القوة وكانت النتيجة انهيار الجبل كليا ولابد من وجود حل للسيطرة على شيوان وإلا كانت نهاية الجميع لا محالة!

جلست بغرفتها منكمشة تحتضن ساقيها وجسدها يرتجف جزعا ، تبكي بكاءا مريرا يكاد يسحب أنفاسها بعدما فعلت بها سعاد الأفاعيل جراء خروجها من البيت دون إذن منها ، عجز مبكر أصاب روحها فزهدت تلك الحياة أصبحت لا تريد أن ترى المزيد من الألم ، فقط الفرار من كل ما هي فيه هو حلها الآن ولا بديل ..

نظرت أسفل الفراش وعقلها يحثها على شيء واحد لا خيار أمامها غيره ، قامت بإزاحة الغطاء كما فعلت من قبل وهي متوجسة ، تسترجع ما رأته في أول مرة هالة زرقاء دائرية يتوسطها

نور أبيض ساطع يخطف الأبصار وأصوات همهمات موسيقية متناغمة ، انكشف الغطاء الحديدي كاملا ولازالت الهالة الزرقاء أسفله كما هي ، شعرت ببعض الخوف فتراجعت قليلا إلي الوراء ولكن صوت أقدام شخص ما متجهة نحو غرفتها جعلتها تتخذ القرار كيفما سيكون المصير ..

أغلقت مقلتيها ودخلته لتبتلعها الهالة بلحظة ، أخذت تنزلق بعدها فوق سطح أملس وصلتها برودته لتصرخ عاليا حتى توقفت فجأة عن الصراخ حين شعرت باستقرار جسدها فوق الأرض ..

حاولت فتح عينيها وهي تمسك برأسها لتسيطر على ما تشعر به من دوار ، ولكن صدمة اجتاحتها حين نظرت إلى نفسها لتجد جسدها الصغير قد تبدل كليا لجسد شابة عشرينيه لا لطفلة ذات أحد عشر عاما ، حتى أن ثوبها أصبح ضيقا يصل إلى أول ركبتيها على استحياء كما يبرز أنوثتها التي اكتسبتها دون إدراك .

ظلت تدور حول نفسها لا تصدق ما حدث لها ، لتتفاجأ بشخص ما يقف أمامها ويعيناه تجولان على كل جزء منها بدهشة وإعجاب في الوقت نفسه .

وقبل قليل ،،،

كان شيوان هائما على وجهه ينظر للفراغ أمامه بضيق ، ظل يفكر بكلمات مبارانغ وأيضا ما ألقاه الملك يانج على مسامعه في غضب :

"لن أسمح لك شيوان بأن تكون نقطة ضعفنا التي يستغلها

الكاريب لتحطيم بلادي "

أنه ليس ملكه فقط ، بل ابن عمه وصديق طفولته كيف يحدثه بتلك اللهجة وأمام حاشيته أيضا ، وهو قائد جيوش بلادهم وأقوى فرسانها على الإطلاق ..

شعر بشيء غريب يجتاح صدره ينافي ما يشعر به من الغضب ، وكأن قدمه تسوقه بلا إرادة منه

إلي مكان بعيد بين الأشجار الكثيفة ليجد تلك الفتاة الغريبة الجميلة الرقيقة إلى حد بعيد أمامه والأغرب تلك الفوهة على سطح الأرض يراها للمرة الأولى بحياته .

أخذ يدور حولها في دهشة ،وكأنها سلبت لبه تلك الغريبة ، أما هي فكان كل ما يرتعد خوفا ولسان حالها

" ما الذي فعلتيه بنفسك يونا !"

وقف أمامها ينظر لعينيها مباشرة :

من أنتِ وكيف وصلتِ إلى هنا ؟

بحروف مترددة خائفة أجابته :

أدعى يونا .. أتيت من هنا

قالت كلمتها الأخيرة وهي تشير إلى الفوهة بجوارها

سكنت ملامحه للحظة دخل بعدها في نوبة من الضحك لتتحول نبرته للغضب :

هل تمازحينني ، ألا تعلمين من أكون ..

ثم هدأت نبرته وهو يتفحص حالتها ليكمل :

اسمك وملامح وجهك تشير إلى أنك إحدى فتيات الجزيرة ولكن لباسك غريب ، إن لم تخبريني بالحقيقة فسوف

يكون حسابك عسيرا

سقطت أمامه من فورها وأطلقت العنان لدمعاتها الحارة :

صدقني لقد أخبرتك الحقيقة اسمي يونا وأتيت من تلك الفوهة اللعينة ، ولا أعرف إلى الأن كيف حدث هذا.

لم تؤثر به عبراتها فقد اختبر من النساء الكاذبات ما يكفيه خاطبها بحدة :

يبدو أن الكاريب بدأوا في استخدام النساء في حروبهم ، سأذهب بكِ إلى قصر الملك يانج وتأكدي بأن مصيرك لن يكون سوى الموت .

وهنا شعرت يونا بالعجز المصاحب لحياتها ، لم لها في كل مكان عدو صرخت بصوت متهدج مغمضة عينيها من كثرة الدموع

وهي تضرب الأرض بقوة وتشيح بيدها :

هذا يكفي .. يكفيني ما أنا فيه .. لقد قولت الحقيقة فإن لم تصدقني فافعل ما شئت ..

وقف شيوان بذهول ، لا يكاد يصدق عينيه ، لقد رأى شرارات النيران تخرج من بين يديها ومن تحت قدمها حتى اشتعلت النيران من كل جانب حولها

اقترب منها يمسك ذراعيها بحذر وهو يهدر بها

" كُفي عن الصراخ سنحترق جميعا أيتها البلهاء "

سكن جسدها للحظة تستوعب جملته لتفزع من هول النيران حولها وبحركة عفويه تحتضن شيوان وهي تبكي وتصرخ ، أما هو.. فانتفاضة

جسدها بين يديه أربكته ، تدارك أمره سريعا فأزاحها بعيدا عن النيران المشتعلة قدر استطاعته ، ثم راح يركض بعيدا لدقائق ليتحول بعدها لطائر عملاق ويحملها بين مخالبة لتفقد وعيها من هول ما رأته ..

وقف أمام طلابه يعدل عويناته وهو يلقي عليهم محاضرته والجميع جالس في حالة من السكون الإنصات :

) أو أحلام اليقظة المفرطة Maladaptive daydreaming(

ويستخدم هذا المصطلح لوصف حالة مرضية من نشاط التخيل الواسع الذي يحل محل التفاعل البشري أو العلاقات الشخصية أو حتى الجانب المهني ..

قام أحد الطلاب برفع يديه مستفسرا :

حسنا .. هل هناك أسباب واضحة لهذا المرض ؟

ليجيبه يوسف وهو يحرك رأسه بالرفض :

لا.. ليس هناك سبب معين نستطيع الاستناد إليه ، ولكن غالبا يكون مرتبط بالإهمال العاطفي في مرحلة الطفولة أو بالأخص سوء المعاملة التي تشجع الضحايا على الانفصال عن عالمهم

المخيف وكيانهم المادي الواقعي لعوالم أخرى من نسج خيالهم ..

بعد أن انتهى من إلقاء المحاضرة ظل يوسف قابعا بمكتبه لوقت طويل يفكر في حالته وفي كلمات شقيقته مها ، على أية حال هو سعيد لما هو عليه على الرغم من خطورته التي يعلمها جيدا كطبيب نفسي وله كل الحرية في اختياراته وعواقبها ولكنها شقيقته التي لم تبق لها أحد سواه..

قرر أن يذهب إلى قريته التي بها منزل العائلة القديم حيث عاش والداه قبل انتقالهم إلى المدينة ،

لربما القليل من الحنين للماضي يصلح ما أفسدته الحياة بداخله

وفي مكان آخر ،،،،

كان هناك .. يبكي كعادته أمام قبرها ، يشكو الكثير من الألم ، يعاتب على فراق لا حيلة لكليهما به حتى غفا في مكانه للحظات ليرآها أمامه كما رآها أول مرة ، شابة جميله .. مختلفة ، جاءت من العاصمة وسط مجموعة من السواح لزيارة قرية أثرية بالقرب من قريته ، سرقت لُبه من أول نظرة ، بها شيء ليس بالبقية رغم صغر عينيها

إلا أن هناك سحر بنظراتها لم يمهل قلبه المسكين
ليقع بلحظة في
عشقها...

حارب ليتزوج بها رغم أنف بلدته وسلاسل
عاداتهم سنتان ينعمان برحيق حبهما معا ليعلم
بخبر حملها فلا تسع الأرض ولا السماء فرحته ،
حتى جاء اليوم الذي ستخرج فيه زهرة حبهما إلى
النور لم يكن يعلم أنها ستكون المرة الأخيرة مع
محبوبته وبأن ابنته لعنه ستتسبب في موت شق
قلبه التي تحولت بعد وضعها مباشرة لسيدة
عجوز عتيقة ومن ثم لفظت أنفاسها في لحظة!

عجز الأطباء عن تفسير ما حدث لها غير أنهم رجحوا بأن حملها كان معقد منذ البداية وبأنها قد تكون حالة نادرة والعاقبة كانت للصغيرة ، كَرِهَهَا بل كَرِهَ النظر لها ووجودها بحياته ، حملها ذنب وفاة والدتها فأهملها وأنكر كونه أبا لها ، ألقاها بين براثن شقيقته ولا علم لديه لما تفعله بها ولا اهتمام..

نظرت له بعينين يغشاها الظلام وملامح جامده :

اذهب سالم ، لا أريدك هنا مرة أخرى

جحظت عيناه من الدهشة ، لم هي غاضبه هكذا أي لي! لماذا لا تريدينني؟ أنا سالم حبيبك ألا تذكرينني ؟

ماذا فعلت أنا لأستحق كل هذا الغضب ؟؟

"أنت لم تعد حبيبي بعد الآن ، لقد أضعت هديتي لك ،لقد أضعت "يونا"
اذهب سليم لا أريدك بعد الآن !!"

واختفت" آي لي" مع آخر حروفها من أمامه ليستيقظ بعدها من غفوته ولازالت عبراته تترنح من عينيه ، وكأن دلو من الماء البارد سقط سهوا فوق رأسه لعله يفيق..

هرول إلى بيته غير آبه لعثرات الطريق ، يسبق الريح ركضا لا يفكر سوى بلقائها الآن على وجه السرعة ، ابنته التي لا يعلم عن حياتها شيء أصبح الآن يطوي الأرض طيا كي يصل إليها ولسان حاله "لقد أفقت من هذياني ولن أضيعك ثانية ابنتي .... لن أضيع هديتك آي لي"

حين وصل إلى بيته وجد سعاد كعادتها تجلس أمام البيت فنهرها بشده :

أين ابنتي سعاد ؟ أين يونا ؟

تعجبت كثيرا من طريقته معها والأعجب هو سؤاله عن ابنته ، فتلك هي من المرات المعدودة التي يهتم لأمرها :

ابنتك في بغرفتها أين ستذهب على أية حال ، ثم لماذا هذ.....

لم يستمع إلى بقية ما ستهذي به ، وهرول إلى ابنته ليجدها ملقاه على أرضية الغرفة فاقدة للوعي !

أسرع بحملها على الفراش وهو يحاول إفاقتها بلا جدوى

ويصرخ على تلك الخبيثة بالخارج :

ـ سعاااااااااد أيتها القاتلة اللعينة ، ماذا فعلتِ بابنتي !!

هربت الدماء من جسد سعاد وكأنها شلت، لم تستطع النطق بحرف واحد وعقلها يجول بأسوأ ما قد يكون ألا وهو أن الفتاه لم تحتمل ما فعلته بها آخر مرة ولفظت أنفاسها !

حمل سالم يونا بين يديه وخرج يبحث عن عربة توصله إلى المشفى بالمركز التابع به قريته لا يرى ولا يسمع من حوله حتى كاد أن يصطدم بمركبة خاصة تشق طريقها بالكاد داخل شوارع القرية الضيقة ، توقف صاحبها في لحظة حرجه ليترجل منها سريعا يتأكد من عدم إصابة سالم :

- هل أنت بخير ومن هذه التي تحملها أهي ابنتك ؟؟

أجابه سالم وهو يحاول الهرب من وجهه لإنقاذ ابنته :

نعم بخير.. ولكن ابنتي ليست كذلك ، دعني أذهب رجاء .

أوقفه يوسف وهو يأخذ الفتاة من بين ذراعيه ليضعها في المقعد الخلفي :

هيا سريعا سآخذكم إلى أقرب مشفي ، أعرفك بنفسي أنا يوسف المنشاوي طبيب نفسي ،وحتى نصل أريدك أن تخبرني بما حدث لها تفصيلا ...

وقف يوسف مع الطبيب بالمشفى على مسافة بعيده نسبيا على مسامع سالم ، يتحدثان بلغة المصطلحات الطبية ويبدو على ملامح الطبيب بعض الدهشة التي زالت قليلا عندما شرح له يوسف حالات مشابهة لتلك الطفلة ..

حاول سالم استراق السمع لكنه لم يفقه شيئا سوى أن ابنته في خطر بين !

انتهي الطبيبان من حديثهما ليعود يوسف منكس الرأس يحاول انتقاء كلماته :

لا أعرف تحديدا ما علي قوله سيد سالم ، لكن ابنتك دخلت في غيوبة مؤقته ليس لها تفسيرا عضويا ، فكل أعضائها بخير وجميع القياسات الحيوية على أكمل وجه ولكن عقلها يرفض رفضا تاما الرجوع إلى الواقع في الوقت حالي !

حرك سالم رأسه بعدم فهم وصدمة تجتاحه ، ليتفهم يوسف الأمر محاولا احتواء صدمته :

ابنتك ستكون بخير سيد سالم ولكنها تحتاج المساعدة في الوقت الحالي ، لقد وضعها الأطباء على أجهزة العناية المركزة لحين إفاقتها ، ومن ثم سأتولى متابعة حالتها بنفسي .

رفع سالم يديه بقلة حيله :

ولكنك طبيب نفسي سيد يوسف هل هذا يعني أن ابنتي ..... ؟

ولم يستطع إتمام جملته حتى انهار باكيا وهو يردد :

لقد ضاعت ابنتي .. لقد ضاعت يونا !

وضعها برفق فوق هضبة ملساء و من ثم تحول إلى هيئته البشرية ، جلس بجانبها يمرر بصره على ملامحها الهادئة الرقيقة وهو يفكر ما هذا

السر الذي قد يكون وراءها ، وما تلك الفوهة التي خرجت منها والأهم من أين استمدت تلك القوة التي من الواضح أنها لا تعلم عنها شيء !

بينما هو على هذه الحالة ، فتحت عينيها سريعا وكأنها تخشى أمر ما ليحاول أن يهدأ من روعها :

لا تخافي يونا .. أنتِ بأمان هنا ..

"أمان !"

رددت كلمته التي اخترقت قلبها وعقلها بلا إذن

"أمان"

وبداية حب المرأة شعورها ببعض الأمان ومن ثم تأتي البقية تباعا من تلقاء نفسها ، وإن كبرت فقلبها الصغير الذي ذاق الكثير من الألم لم يشعر

أبدا بمعني الأمان الذي جاء هذا الغريب ليمنحها إياه بتلك السهولة !

قرر كسر صمتها والصراع الظاهر فوق ملامحها بسؤاله :

يونا .. رجاء أخبريني قصتك ، وكيف جئت إلى هنا وأعدك بأنني سأصدقك تلك المرة .

أجابته بذهن غائب وبادرة أمل اجتاحت كيانها :

حسنا .. سأخبرك كل شيء

ظلا على وضعهما فترة ، وقد أخذت تسرد عليه كل ما حدث لها حتى نزولها من فتحة البئر ببيتها ووصولها لهذا المكان الغريب ،

ولم ينتبه كلاهما لمن يقف على مسافة منهما يراقب كل حركة لهما منذ وجودهما بين النيران وإلى لحظتهم تلك ... !

وفجأة شعر يانج بشئ غريب ، أصوات بعيدة ، وأعداد كبيرة من العاديات يضربن الأرض بقوة في الطريق إليهم ،ترك شيوان يونا التي تعجبت كثيرا لتحوله المفاجئ وأخذ يركض سريعا لمسافة بعيدة حتى تحول لطائر ذهبي ضخم ، حلق عاليا يستطلع الأمر ليجد أعداد هائلة من جنود الكاريب تقترب من جزرهم ، عاد إليها سريعا وقد تحول لهيئته البشرية :

اذهبي الآن يونا .. يجب أن تعودي الآن هيا

حاولت أن تستوعب الأمر :

ماذا هنـــــــــــ.....

لكنه لم يمهلها لحديث ، حملها سريعا ووضعها بجانب الفوهة وطلب منها النزول دون أن تنطق بحرف واحد :

سنتحدث لاحقا .. هيا اذهبي الآن ..... هيا أسرعي

دخلت إلى الفوهة بحذر ، بينما عاد هو ليمسك به حراس الملك يانج ويخبرونه بأنه مطلوب في الحال !

للمرة الثانية ، يقف أمام الملك يانج في موضع اتهام بلا جرم والمؤلم في الأمر من أن يتهمه هو يانج رغم معرفته به أكثر من نفسه :

لقد خالفت أوامري شيوان وعن عمد أيضا

قالها يانج بنبرة تحمل الكثير من الغضب

ولكن شيوان لم يهتز ليرد اتهامه بكل إيباء :

أنا لم أفعل شيئا خاطئ سيدي ، كما أن هذا ليس وقت عتاب، فالكاريب على أعتابنا لقد رأيت جنودهم يقتربون منا وسيصلون بأي وقت.

- وكيف سيدخل الكاريب إلى هنا شيوان رغم الجدار المحصن المحاط بنا ؟

ومن سيساعدهم على ذلك ، أهي الفتاة الغريبة التي كانت معك منذ قليل ؟

بهت شيوان من المفاجأة قبل أن يتحدث بسخط واستنكار :

أتتهمني بالخيانة سيدي ؟

أنا لم أتهمك بعد شيوان ، أنا فقط أريد تفسيرا منطقيا ...

من تلك الفتاة الغريبة ؟ وكيف دخلت إلى جزرنا رغم كل تلك الحراسة وما هو سبب اشتعال النيران حولكما ؟؟

قالها الملك يانج بغضب وقبل أن يجيبه شيوان دخل

عليه أحد الحراس ينتابه الهلع :

"لقد اقتحم الكاريب جميعا حصوننا سيدي "

نظر يانج إلى شيوان نظرة اتهام ساخطة حاول شيوان نفي التهمة عن نفسه ولكن الملك لم يدع له فرصة وأمر الحراس بإلقائه في السجن وتشديد الحراسة عليه !

صوت جرس إنذار المشفى الخارج من غرفة العناية أجفله وهو جالس على مقعد الانتظار ، رأي يوسف وطبيبا آخر واثنان من فريق

التمريض يهرعون إلى غرفة ابنته ، لم يسمحوا له بالدخول إلا بعد مرور نصف ساعة من دخولهم ليخرج بعدها يوسف له مبتسما :

ـ اطمئن سيد سالم لقد أفاقت يونا من غيبوبتها "أحقا ما تقول "

قالها سالم بفرحة غامرة ليجيبه يوسف بعمليه :

ـ نعم وحالتها الآن شبه مستقرة ، تستطيع رؤيتها لدقائق .

لم يجيبه سالم وأسرع إلى غرفة ابنته التي وما أن رأته حتى انهارت كليا وأخذت تصرخ بشدة وعلى وجهها تجلت كل علامات الهلع ، أخرجه يوسف سريعا من الغرفة وهو في حالة عجب مما فعلته

يونا ولكن يبدو أن حدثه كطبيب لم يخب ، أما والدها فلم تستطع قدماه حمله من أثر الصدمة ، ألتلك الدرجة أصبحت ابنته تهابه وتبغضه ؟ ولم العجب وهو لم يكن لها أبا من الأساس ولو ليوم واحد!

وقف الملك الشاب وعيناه يغشاها ظلام دامس من تحتها نار مشتعلة تصعد ألسنتها أمام قائد جيوشه الذي يقف أمامه منكس الرأس خجل بعد أن أخبره بأن جيشه قد هزم وبأن أكثر من ثلث

جنوده قد قتلوا على يد (الكاريب) بعد أن أكلوا لحومهم لتنتقل إليهم قدراتهم القتالية الفائقة!

دماؤه تغلي في عروقه ألما ، يشعر بخيبة أمل مُحرم على مثله الشعور بها ، ربما هو لم يستطع أن يحل محل أبيه الراحل الملك "يونج" ، لم يستطع حماية جزر "دياو"

هلك شعبه في مجزره وحشية مازالت مستعرة بالخارج

زئر"يانج" بصرخة خرجت من أعماق أحشائه الملتهبة كالبركان جعلت فرائص كل من بالقصر ترتعد رعبا حاول (تزاو) قائد الجيش البديل عن شيوان التحدث بنبرة مرتجفة متخاذلة:

أعتذر سيدي .. لقد فعلنا كل ما بوسعنا ولكنك أعلم بجنود الكاريب وقدراتهم وجهه إليه الملك نظرة كالجمر ،وبأمر مباشر :

لا حل أمامنا الآن سوى (شيوان) أخرجه من السجن "تزاو" وليفعل بهم أفاعيله حاول تزاو الاعتراض : شيوان ! سيدي.. لكن

أوقفه الملك بإشارة من يده فهو يعلم جيدا ببراءة شيوان من تهمة الخيانة ولكنه غاضب منه لإخفائه عليه العديد من الأشياء ومن أهمها قدراته التي اكتسبها حين شرب من ماء "عين إتركس" الكثير خفية من الجميع والتي كانت ستكون سببا في هلاكه :

تزاو .. لا حل آخر هو فقط من يستطيع التصدي لهم بطريقته الخاصة أخرجه على الفور .. هذا أمر ملكي أيها القائد فلتنفذ في الحال.

أجابه تزاو وهو ينحني إجلالا للملك يستأذنه بالانصراف :

أمرك مطاع سيدي.

حجرة مظلمة كعلبة ضيقه لا منفذ لها سوى ثقب رفيع بأعلى سقفها يسمح بالكاد بمرور خيط نحيل

من ضوء ، ومجموعة لابأس بها من السلاسل الحديدية الضخمة تلتف بإغواء وهيمنة حول جسد كالحُلم ، قوي مفتول العضلات ذا وجه وسيم حد الافتتان وملامح غاية في الحدة والقسوة بل هو رمز القوة والنفوذ الطبيعي بلا تصنع ، يجلس على أرضها بإجلال مرفوع الرأس وشبه ابتسامة مغترة تزين شفتيه ، لم تؤثر القيود باعتزازه بنفسه وكأنه هو السّجان وليس السجين

وقد زاد انتشائه وهو يستمع لصرخات الشعب بالخارج والكاريب يمزقونهم ويتركونهم أشلاء بلا روح ، فيبدو أن ميعاد خروجه قد حان

اتسعت ابتسامته حين شعر بأحد الحرس يقترب من زنزانته ، لتفتح بعدها ويدخل القائد "تزاو" إليها ، رفع ناظريه إليه ليصطدم تزاو بملامحه التي ازدادت حدة فيهمس بعدها شيوان بمكر :

ألم يتبق منكم أحد سيدي القائد ، أم أن هناك بعضا من جنودك لم تنالهم أنياب الكاريب بعد؟

: زجره تزاو بنظرة حاده

، الزم حدك شيوان

لو لم يكن أمر من الملك يانج ما جئتك إلا لأنفذ عليك حكم الإعدام أيها الخائن اللعين.

ابتسامة أخرى كانت الرد وشغف في نفسه يجري منه مجرى الدم لن يتوقف عن فعله ولو كان الثمن مكوثه بالسجن أبد الدهر أو حتى الموت فليكن

أمال شيوان رأسه جانبا وهو يزم شفتيه بخبث : متى ستأمر الحراس بفك قيودي سيدي القائد ، أم أن هناك المزيد من الوقت لنضيعه ؟

أشار القائد " تزاو" إلى الحراس ليحرروا شيوان على مضض وفي ،تلك الأثناء كان الناس يهرعون هنا وهناك في فزع بالغ وصرخاتهم تعلو كل لحظة وجنود الكاريب يسارعون خلفهم كالبرق يخطفون أعضائهم وصغارهم ليمزقونهم بلا

رحمه بل و ينتزعونهم من بيوتهم الواهنة انتزاعا ليجعلوها حطبا يشعلون به النيران ، وأخرى يجعلونها ثكنات لهم ..

وفي تلك اللحظة غيمة عمت الجزيرة ليرفع جند الكاريب رؤوسهم فتصطدم نظراتهم التي دب فيها الهلع بطائر ذهبي ضخم يحلق بأجنحته الأسطورية هنا وهناك وبين جناحيه اثنان من الثعابين الضخمة المستقيمة أحدهما باللون الأزرق الداكن والآخر باللون الأحمر القاتم لم يروا في مثل ضخامتها على الإطلاق..

أخذ الطائر يميل بجناحه الأيمن ذا الثعبان الأزرق الذي يفتح فمه عن آخره ليلتقم جنود الكاريب واحد تلو الآخر وكأنهم ديدان الأرض ، بينما يميل بجناحه الأيسر ليفعل نفس الشيء بثعبانه الأحمر المهيب ، ثم يعود ليستقم ، ويكرر الأمر نفسه مرة بعد أخرى..

وتبدل الحال بين طرفة عين و انتباهتها فتعلوا صرخات جنود الكاريب بينما يختبئ الرجال والنساء محتضنين أطفالهم داخل ما تبقى من بيوتهم في هلع وبصيص أمل يعزو قلبهم ، مر وقت ليس بالقليل وشيوان يجوب سماء الجزيرة الشاسعة يحاول القضاء على ما استطاع من

هؤلاء الجنود وفي أثناء ذلك إذ بطائرين عملاقين أحدهما بني اللون والآخر باللون الأزرق الزاهي يرتفعان بمحاذاة شيوان ليصدر بعدها صوتا قويا منتشيا يثير الرعب في جنود الكاريب ، ويخرج ثعبانان آخران من تحت جناحيه ، ليجوب ثلاثتهم سماء الجزيرة في تناغم وزهو وهم يقضون على ما تبقى من جنود الكاريب في عزة وشموخ ، حتى يُفجع شيوان بسهم صائب في جناحه الأيمن فسيقط أرضا على أثره !

وأخيرا وصل يوسف إلى بيته بالقرية لينعم بقليل من الراحة ، بعدما تأكد من استقرار حالة "يونا " وأقنع والدها بالذهاب لبيته ليرتاح هو الآخر فالمكوث بجانبها في تلك الحالة لن يفيد ..

حالما دخل منزله القديم ، وجدها أمامه تجلس على الأريكة بلباس مغوي تبتسم له في رقة :

لقد تأخرت كثيرا يوسف أنا بانتظارك منذ وقت طويل

أغلق باب المنزل خلفه وقد علت دقات قلبه كما المعتاد بقربها وبصوت هادئ :

أعتذر منك حبيبتي .. لقد كنت ...

طبعت قبلة رقيقة فوق شفتيه تسكته :

أعلم أين كنت يوسف ولكن لم كل هذا التأخير

جلس بجانبها يحتضنها وقد أخذ يمسد فوق رأسها

بحنو ويسرد عليها ما حدث وما صرحت به الفتاة

الصغيرة له حين استقرت حالتها ومن معاملة

عمتها ورفيقاتها وكل من حولها وما تعانيه من

كره والدها وإهماله لها طيلة حياتها القصيرة

لتنصحه بإقرار :

اتركها يوسف ، دعها تذهب إلى حيث أرادت هذا

العالم لا يستحقها !

ولكن حالتها مستقرة الآن ، سوف أقوم

بمساعدتها على الشفاء ،

لقد تغير والدها وعا_____

قاطعته بنبرة جدية :

ولكنها عادت إلى غيبوبتها ثانية يوسف ، هي لا تريد البقاء ، دعها لقدرها الذي اختارته حبيبي ..

قالت جملتها تختفي بعدها كما حضرتك ويسرع يوسف بالذهاب إلى المشفى ليجد الفتاه قد غابت عن وعيها للمرة الثانية !!

بمجرد خروجها من الفوهة أتعب سمعها أصوات الضجيج القادمة من مكان ما فاتجهت مسرعة إليه ، شعرت وكأن روحها تنقبض منها دون سبب واضح لتصطدم عينيها به ملقى ع الأرض

بين أحضان شاب يشبهه إلى حد ما وبجوارهم فتاة تبكي والشاب يصرخ بمن حوله :

" أحملوه سريعا إلي القصر .."

أصابها دوار شديد وشريط حياتها يمر أمامها ، عمتها القاسية ، تنمر من حولها ، كره والدها لوجودها بحياته ، ألم وحدتها ، أمها التي لم ترها ولو مرة واحده ، وهو الشخص الوحيد الذي آمن بها ووعدها "بالأمان" لقد أصابوه بالأذى "الكاريب"

قالتها وقد انتابها غضب عارم ، أخذت تضرب الأرض بقدميها في صراخ وبقوة لا تعلم من أين أتتها لتخرج النيران من بين يدها ، تقطعت

أنفاسها واضطربت للحظة عندما شاهدت النيران ولكنها سرعان ما ابتسمت بنشوه ، ستحرقهم من أصابوا حبيبها ، بل ستحرق كل من تسبب في أذى لها في كيان هؤلاء الكاريب

أخذت تقذف النيران من كل جانب علي جنود الكاريب وسط ذهول كل من يانج وأتان ، تذكر يانج كلمات أبيه وهو يحتضر:

" ابحث عن عمتك بني فلديها قوتها الخاصة التي لا يعلمها أحد "

و أيضا ما خطه له في خطابه السري و الذي لم يقرأ ما فيه إلا بعد وفاة والده حسب وصيته :

" لقد كانت عمتك تستطيع التحول لطائر ككل عائلتنا المالكة والفضل يرجع "لعين إيتركس" ولكنها كانت تتحول إلى طائر من نار تحرق من تريد ، حتى إن كانت بلد بأكملها ، ولولا أنني تصديت لقوتها ومنعتها من استخدام تلك القوة ما كانت تركتنا هكذا دون رجعة بني " مر بعض الوقت بعدها فر جنود الكاريب واحد تلو الآخر هاربين من نيران "يونا" ليأمرها يانج بعدها بالذهاب معه لقصر والده ، ليكتشف بعدما قصت عليه حكايتها بأنها ليست غريبة كما كان يظن ولكنها ببساطة ابنة عمته "أي لي" التي تركت بلادها هربا من تسلط والده !

وقف سالم بين يدي الله يصلي ويدعو الله أن يسامحه على تقصيره في حق ابنته ، بعدما لقن شقيقته درسا بيده لن تنساه ثم ألقى بها في السجن بتهمة تعذيب طفلته وحرقها في أماكن متفرقة من جسدها بعدما حصل على تقريرا طبيا يثبت صحة ذلك على ما علم من معاملتها لابنته وتفريطها في أمانته التي أمنها عليها ولم يعد يكترث لحياته التي قضى عليها بيديه ولم يعد

أيضا يكترث سوى لشيء واحد هي أن تسامحه ابنته وتسامحه " أي لي " !

ذهب إلى قبرها يجلس أمامه و يذرف من الدموع الحارة الكثير لعل تلك العبرات تطهر نفسه من ذنب ابنته ، يريد منها أي اشارة لمسامحته ولكن دون جدوى ظل على حالته تلك حتى غفى في مكانه ..

لتأتيه كآخر مرة ولكن على عكس سابقتها فتلك المرة مبتسمه راضيه :

- لا جدوى من دمعاتك الآن سالم ، لقد وجدت ابنتي مكانها ، أستطيع الآن أن أرقد بسلام .

ليستيقظ على صوت يوسف وهو يربت على كتفه ليوقظه :

ـ سيد سليم ، أريدك في أمر هام

انتبه سليم وقد هربت منه الدماء :

ماذا هناك أيها الطبيب ، هل حدث مكروها لابنتي ؟

أجابه يوسف بإقرار:

لا .. ولكنه أمر معقد بعض الشيء ، تعال معي إلى المشفى لنتحدث في الأمر .

"كانت والدتك بمثابة أما لي "يونا" ، كما كانت لشيوان أيضا "

قالها مبارانغ ليونا في حضور كل من يانج وأتان وهو ينظر إلى شيوان المدد على الفراش بعدما استطاع الأطباء مداواة جُرحه الغائر ، ليكمل بعدها مبارانغ :

"امرأه لديها من القوة والبأس الكثير وكانت عاشقة للحرية ، عندما قررت الرحيل كانت وقتها على أعتاب عامها الخمسين ، ولكنها مازالت تحتفظ بقوتها وبالرغم من ذلك ولكن الملك "يونج" انتابه الكثير من الخوف بعدم قدرتها

السيطرة على قوتها مع تقدمها بالعمر ، حاولت أن تثبت له عكس مخاوفه ولكن هيهات !"

كان الجميع ينصت إليه بنهم فهذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها مبارانغ عن الأمر أو يفصح بما حدث ولم يكن البقية على علم بأن مبارانغ يعلم الأمر ولا حتى الملك يونج نفسه .

تنهد مبارانغ بألم ليكمل :

" آخر مرة رأيتها كان عند الفوهة السحرية التي خرجت منها يونا ،لقد كانت والدتك بارعة في السحر أيضا ، هي من علمتني الكثير وساعدتني على تعلمه وقامت بصنع تلك الفوهة وأخبرتني بصنع مثيلتها في عالم آخر تعيش فيه كما

أخبرتني بأنها تحمل طفلا بأحشائها ، انتابني الكثير من الخوف عليها حينها لكبر سنها ولكنها طمأنتني بأنها حين تصل في كل مرة للعالم الآخر تفقد نصف عمرها ، بعدها رحلت ولم أرها مرة أخرى "

"الآن فهمت كيف جئت إلى هنا وكيف كبرت ١٠ أعوام فوق عمري "

قالتها يونا وقد سيطر عليها بعض الحزن إثر ذكر والدتها

لمح شيوان دمعة هاربة من عينها فأراد أن يخفف عنها نظر لها باستعلاء مازحا :

إذن فأنتِ هناك مجرد طفلة بلهاء تلهو بالدمى ولم تنضجي بعد ! إذن علي إعادة التفكير في أمر زواجنا فبالنهاية لن يكون آخر صبري أن أتزوج من طفلة !

قامت يونا بلكزه في كتفه بغيظ وغضب طفولي :

ومن قال أنني سأتزوج بمغتر بنفسه مثلك ليضحك الجميع بعدها ويتصنع شيوان الألم بينما يقاطعهم يانج موجها حديثه ليونا

حسنا نعود للأمور الهامة عليك أن تختاري "يونا" أما البقاء وإكمال مسيرة والدتك أو الذهاب فلا يمكنك الوجود في عالمين مختلفين ، هناك بعض الوقت لتقرري

ليصيح شيوان وهو يتألم إثر جرحه :

بالطبع ستبقى وسنتزوج وسننجب أطفالا

يتنفسون تحت الماء أليس ذلك يونا

ضحكت يونا لمزحته ولكنها لازالت تشعر بالحيرة

، فطلبت بإعطائها بعض الوقت لتختار مصيرها ..

ماذا تقول أيها الطبيب ؟ أهذه هي نهاية ابنتي

ستموت ولن أرها ثانية ؟!

هل تطلب مني أن أرضى بالأمر الواقع وأطلب منكم قتلها !

قالها سالم بانفعال أب مكلوم للطبيب المتابع لحالة يونا ، بينما حاول يوسف أن يشرح له الأمر :

أرجوك سيد سليم يجب أن ترضى بقضاء الله أعلم أن الأمر ليس بهين ولكن ما باليد حيلة ، ابنتك في غيبوبة قد تظل بها لأعوام وأعوام ، قلبها يعمل ولكن عقلها يأبى الرجوع وهي الآن بين يدي الله وليس لنا من الأمر شيء

ولك وحدك القرار

انصرف سالم من المشفى وقد سلم بالأمر الواقع ، الآن فهم ما قالته له "أى لي" بغفوته "لقد وجدت ابنتي مكانها "

—

وبعد عدة أعوام

كان الجميع يعمل على قدم وساق ، وأولهم شقيقته مها التي ارتدت أجمل ثيابها ، تشعر بسعادة غامرة وكيف لا وهو عرس شقيقها الوحيد " يوسف "

كانت تتجول في القاعة هنا وهناك ، تتأكد من أن كل شيء على ما يرام وبأن جميع الحاضرين لا ينقصهم شيء..

أما هو فكان يجلس بسعادة تغمره إلى جوار عروسه الجميلة الرقيقة الشبيهة إلى حد كبيرة بزوجته الراحلة لا سيما اسمها " راما " ربما كان هذا أحد أسباب علاجه وأخيرا وجد دوائه بقرب تلك الفاتنة ..

أما سالم

فكان يجلس كعادته بين القبور يفكر بأحواله وما آل إليه ، يستيقظ حينا ويغفو الكثير من الأحيان ، حتى وجدهما أمامه ليس حلما ولا حقيقة ..

ينظران له بابتسامة عذبه ، اقتربت منه يونا على مسافة ليست بالبعيدة لتخبره بابتسامة صافية :

لقد سامحتك أبي !

لتنصرف كلتيهما ويستيقظ فرحا للمرة الأولى منذ فراقهما راضيا عن حاله ، مقرر النظر لأيامه القادمة بعين جديده ، يحاول فيها إصلاح ما أفسده الماضي ..

وفي مكان ما ،،،،،،،،،،

طائرا ضخما بلون القرمز المطعم بخيوط ذهبية تتطاير من حوله شرارات لهب خفيفة ، يحلق في

سماء الجزيرة بمرح ، ظل فترة على حاله على وجد ضالته ، ليستقر بعدها فوق سطح الهضبة وتتحول إلى هيئتها البشرية وبنبرة مشاكسه :

كنت أعلم أنك هنا زوجي العزيز ، ولكنني لا أعلم ما سر تلك الهضبة التي تلتصق بها معظم الوقت

ابتسم شيوان لكلماتها ليجيبها بمكر :

أخاف من مصارحتك حبيبتي ، فربما تغضبين

أجابته يونا بنفاذ صبر وبعض الغضب الخفي :

لا .. لن أغضب تكلم

شعر شيوان بغضبها فأراد إثارة غيرتها :

لا أخفيكِ سرا تلك الهضبة هي العزيزة على قلبها ، فعليها شعرت بنشوة تحولي لطائر عملاق وعليها قبلت شفاة أول حب بحياتي .

"وعليها ستموت على يدي شيوان "

قالتها يونا وقد أخذت تضرب في صدره بقوة لتعلو ضحكته:

لماذا أنت غاضبة لأنني أقول الحقيقة .. أتذكرين أول مرة التقينا وفقدتِ وعيك حينها حملتك إلى تلك الهضبة ولم أشعر بنفسي حينها إلا عندما قبلت تلك الشفاه.

شعرت يونا بالخجل أثر كلماته وحاولت التحدث بعدها لكنه احتضنها يأسر شفتيها بين شفتيه مسكتا كل حديث .

تمت بحمد الله

٢٠٢٠/٧/٢٦